الباب الثالث

الصيام والسياسة

«ثمة فكرة مفادها أن الإنسان يخلق الفوضى في الطبيعة وفي الكون ضمن حياته العادية، وإنه بالصوم يعيد النظام إلى حياته الخاصة وللمكان الذي تحيله في الطبيعة والكون.

إن فكرة الانسجام مع الطبيعة وحفظ النوع الحيواني خلال الصوم فكرة قوية الدلالة».

بيرنار هانير بيركير

باحث في علم الأديان المقارن

الباب الثالث

الصيام والسياسة

الإضراب عن الطعام: مقاومة من نوع آخر

الإضراب عن الطعام وسيلة من المقاومة السلمية أو الضغط حيث يكون المشاركون في هذا الإضراب صائمين ممتنعين عن الطعام بوصفه عملًا من أعمال الاحتجاج السياسي، أو ربما يكون لإشعار الآخرين بالذنب.

وعادة هذا الإضراب ما يصاحبه غاية لتحقيق هدف محدد، ومعظم المضربين عن الطعام لا يضربون عن السوائل، فقط الطعام الصلب.

وفي الحالات التي تكون فيها الدولة قادرة على احتجاز المضرب عن الطعام بوصفه سجينًا، فإنها تنهي هذا الإضراب عادة عن طريق استخدام التغذية الجبرية؛ أي استخدام القوة لإطعامهم.

التاريخ المبكر

وقد اُستخدم الإضراب بوصفه وسيلة من وسائل الاحتجاج في إيرلندا ما قبل المسيحية، حيث كانت تعرف باسم «Troscadh» أو «CealaChan» وكانت توجد قواعد محددة للإضراب عن الطعام في ذاك الوقت، وفي كثير من الأحيان يكون الإضراب عن الطعام أمام منزل الجاني، ويعتقد العلماء أن الإضراب أمام منزل الجاني يرجع إلى الأهمية العالية في حسن الضيافة آنذاك، حيث يُعدّ السماح للشخص المضرب عن الطعام بالموت أمام المنزل عار كبير لصاحب هذا المنزل. ويقول آخرون: إن هذا الإضراب يكون فقط ليلة واحدة، حيث لا يوجد أي دليل في إيرلندا يدل على

موت المضربين عن الطعام. وكان الهدف الأول للإضراب عن الطعام في ذاك الوقت استرداد الديون أو الحصول على العدالة. وتوجد أساطير لـ سانت باتريك قديس إيرلندا تقول: إنه استخدم الإضراب عن الطعام.

أما في الهند، فقد ألغت الحكومة الهندية عام ١٨٦١م ممارسة الإضراب عن الطعام من أجل الحصول على العدالة أمام باب الطرف المخالف (عادة المدين)، وهذا يدل على انتشار هذه الممارسة قبل ذلك التاريخ أو على الأقل الوعي العام بها. وهذه الممارسة الهندية قديمة، وتعود إلى نحو ٤٠٠ إلى ٧٥٠ قبل الميلاد.

وقد عرفت هذه الممارسة منذ ظهورها في كتاب Valmiki Rama Yana وقد ذكرت فعليًّا أيضًا في (كاندا أيوديا AyOdhya Kanda) الكتاب الثاني لـ رامايانا في فصل (Sarga) حيث طلب (بهاراتا) من المنفي (راما) العودة والسيطرة على المملكة، وقام بكثير من الحجج، ولكن لم تُفِدْ أي منها، عندها قرر القيام بالإضراب عن الطعام، وأعلن عزمه على الصيام، ودعا عجلته الحربية (سومانترا) أن تجلب له بعض حشائش (الكوشا المقدسة)، لكن لم يفعل ذلك (سومانترا) نظرًا لانشغاله، وقام (بهاراتا) بنفسه بجلب العشب، وجلس مقابل (راما) ولكن سرعان ما أقنعه (راما) بالتخلي عن هذه المحاولة.

الرؤية الطبية

في أول ثلاثة أيام من الإضراب عن الطعام، يقوم الجسم باستخدام الطاقة الممتدة من الجلوكوز، وبعد ذلك يبدأ الكبد بمعالجة الدهون في الجسم، وتسمى هذه العملية (الكيتوزية)، وبعد ثلاثة أسابيع يدخل الجسم في وضع الجوع، وفي هذه الحالة تنقص العضلات والأجهزة الحيوية في الجسم للحصول على الطاقة، وأيضًا فقدان نخاع العظم الذي يهدد حياة الإنسان. وهناك أمثلة لبعض المضربين عن الطعام توفوا بعد ٥٢ حتى ٧٤ يومًا من الإضراب عن الطعام.

أحداث تاريخية جديرة بالذكر

(غاندي) و(بهجت سنغ)

كان (المهاتما غاندي) مسجونًا في الأعوام (١٩٢٢ - ١٩٣٠ - ١٩٣٣ -١٩٤٢م) لدى الحكومة البريطانية وبسبب مكانته العالمية، فقد كرهت الحكومة البريطانية أن يموت وهو في عهدتها، وذلك خوفًا من تأثر سمعتها بهذا الحدث. وشارك (غاندي) في كثير من أحداث الإضراب عن الطعام وذلك احتجاجًا على الحكم البريطاني في الهند، وكان الصوم وسيلة غير عنيفة وفعالة لإيصال الرسالة، ويسهم في تحقيق أهداف الاحتجاج بشكل كبير أحيانًا، ويتماشى مع مبدأ (الساتياغراها) وتعني المقاومة غير العنيفة.

وإضافة إلى (غاندي) فقد استخدم كثيرون آخرون خيار الإضراب عن الطعام خلال مرحلة استقلال الهند، ومن هذه الشخصيات (جاتلين داس) الذي صام حتى الموت، و (بهجت سنغ) و(دوت) فكان اليوم الذي تخليا فيه عن إضرابهما هو اليوم السادس عشر بعد المئة من صيامهم.

هذا الإضراب الذي استمر ١١٦ يومًا، وانتهى بخضوع الحكومة البريطانية لمطالبهم، فاكتسب (بهجت سنغ) شعبية كبيرة بين عامة الهنود حيث كانت شعبيته قبل الإضراب محصورة في إقليم البنجاب بشكل خاص.

وبعد استقلال الهند، لجأ المناضل (بوتي سريراملو) إلى الإضراب عن الطعام للحصول على دولة مستقلة للمتحدثين باللغة التيلوغية. وأضرب (مورارجي ديساي) عن الطعام مرتين خلال حركة (NAVNIR MAN) في السبعينيات، وسبقه في ذلك (إندولال ياجنتيك) الملقب بـ (إندو شاشا) فقد صام طويلًا خلال حركة (Maha Gujarat).

(أماراجيفي سريراموللو)

توفي (بوتي سريراموللو) الهندي الثائر في أثناء إضرابه عن الطعام مدة ٥٨ يومًا عام ١٩٥٢م بعد استقلال الهند في محاولة منه لتشكيل ولاية منفصلة، تسمى ولاية (أندرا). وقد كان لتضحيته دورٌ فعال في إعادة تنظيم الولايات على أساس لغوي.

المطالبات بحق اقتراع المرأة في بريطانيا وأمريكا

خاضت المُطالبات بحق اقتراع المرأة في مطلع القرن العشرين إضرابًا عن الطعام في السجون البريطانية. وكانت (ماريون دونلوب) أول من بدأ الإضراب عن الطعام عام ١٩٠٩م. وقد أُطلق سراحها حيث إن السلطات لم ترغب في إظهارها بمظهر الشهيدة. وحذت حذوها باقي المُطالبات بحق اقتراع المرأة في السجن، وبدأن الإضراب عن الطعام، ما دفع سلطات السجن إلى إخضاعهن للإطعام بالقوة، وذلك صنفته المُطالبات بوصفه نوعًا من أنواع التعذيب. وقد توفيت كل من (ماري كلارك) و(جين هيوارت) و(كاثرين فراي) وغيرهن نتيجة لما تعرضن له من إطعام قسري بالقوة.

وعام ١٩١٣م غيّر قانون الإفراج المؤقت - بسبب اعتلال الصحة الذي عرف باسم (قانون القط والفأر) - السياسة تجاه الإضراب عن الطعام، فقد أبدى السجّانون تسامحًا أكبر تجاه المضربين، بحيث يتم إطلاق سراحهم عند مرضهم، وإعادتهم للسجن عند تماثلهم للشفاء لإنهاء محكومياتهم.

الجمهوريون الإيرلنديون

إن الإضراب عن الطعام متجذر بعمق في المجتمع الإيرلندي والروح الإيرلندية، حيث إن الصيام من أجل جذب الانتباه للظلم والجور الذي يتعرض له المرء من

سيده، وذلك يحرجه ويدفعه لإيجاد حل، كان سمة مشتركة للمجتمع الإيرلندي القديم، وقد دمجت هذه الطريقة بشكل كامل في النظام القانوني البريهوني (قوانين بريهون مجموعة قوانين كانت مستخدمة في إيرلندا للعشائر منذ العصور الأولى). وهذا التقليد في الأساس وعلى الأغلب جزء أقدم من تقاليد هندية- أوروبية كانت إيرلندا تنضوى تحت رايتها.

وقد استخدام الجمهوريون الإيرلنديون هذه الطريقة منذ عام ١٩١٧م وأيضًا خلال الحرب الإنجليزية- الإيرلندية في العقد الثانى من القرن الماضي. وأول إضراب عن الطعام قام به الجمهوريون قابله البريطانيون بالإطعام القسري، الذي تصاعد عام ١٩١٧م، ووصل ذروته بوفاة (توماس آش) في (سجن مونتجوي).

وقد لجأ الجيش الجمهوري الإيرلندي المؤقت لهذه الطريقة مجددًا في مطلع سبعينيات القرن الماضي، عندما نجح عدد من الجمهوريين مثل (شين ماكستيوفين) في استخدام الإضراب عن الطعام بوصفه وسيلة لإطلاق سراحهم من الاعتقال من دون توجيه تهم إليهم في الجمهورية الإيرلندية. وقد توفي (مايكل جوهان) بعد إخضاعه للإطعام بالقوة في سجن بريطاني عام ١٩٧٤م. وتوفي (مارك ستاغ) وهو عضو في الجيش الجمهوري الإيرلندي كان محتجزًا في سجن بريطاني بعد ٦٢ يومًا من الإضراب عن الطعام كان قد بدأه بوصفه حملة لإعادته إلى موطنه إيرلندا.

الإضراب الفلسطيني الجماعي عن الطعام عام ٢٠١٢م

في فبراير ٢٠١٢م بدأ ما يقرب من ١٨٠٠ سجين فلسطيني محتجزين في السجون الإسرائيلية إضرابًا جماعيًّا عن الطعام احتجاجًا منهم على تطبيق الاعتقال الإداري، حيث تحتجز إسرائيل قرابة ٣٨٦, ٤ سجين فلسطيني، ٣٢٠ سجينًا منهم رهن الاعتقال الإداري. وتتضمن مطالب المضربين عن الطعام حق الزيارات العائلية للسجناء من غزة، وإنهاء تمديد الحجز الانفرادي، وإطلاق سراح المعتقلين إداريًّا.

عبّر كل من الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون، واللجنة الدولية للصليب الأحمر عن قلقهما من ظروف المضربين عن الطعام.

و١٤ مايو، تم الإعلان عن موافقة السجناء على إنهاء إضرابهم عن الطعام بعد توصلهم لاتفاق مع السلطات الإسرائيلية بوساطة مصرية وأردنية. وبموجب الاتفاق، فقد وافقت إسرائيل على قصر مدة الاعتقال الإداري على ٦ شهور فقط عدا في حالات تظهر فيها أدلة جديدة ضد المشتبه به، وعلى زيادة الزيارات العائلية، وعلى إعادة المحتجزين انفراديًّا إلى الزنزانات العادية. وتم التوصل أيضًا إلى اتفاق لزيادة النقاشات حول تحسين ظروف السجن، ووافق الممثلون عن المضربين عن الطعام على عدم الانخراط في أي نشاط عسكري داخل السجون، وذلك يشمل التجنيد. وقد صرحت (حنان عشراوي) من المجلس الوطني الفلسطيني أن المضربين عن الطعام «قد أثبتوا فعلًا أن المقاومة السلمية أداة أساسية في نضالنا من أجل الحرية».

الإضراب الإيرلندي عن الطعام عام ١٩٨١م

عام ١٩٨٩م قام سبعة سجناء من الجيش الجمهوري الإيرلندي بالإضراب عن الطعام في سجن (ميز) احتجاجًا على الحكومة البريطانية لنقضها اعتبارهم أسرى كالسجناء شبه العسكريين في إيرلندا الشمالية.

في هذه المرة بدلًا من قيام كثير من السجناء بالإضراب في الوقت نفسه بدأ الإضراب عن الطعام بالصيام فردًا تلو الآخر لتحقيق أقصى قدر من الدعاية الشعبية حول معرفة مصير كل فرد على حدة. بعد وفاة الرجال وبسبب الاضطراب الشعبي الشديد وافقت الحكومة البريطانية على تنازلات جزئية للسجناء، وبذلك انتهى الإضراب. أعطى الإضراب عن الطعام دعاية ضخمة رفعت وعززت بشدة الروح المعنوية للجيش الجمهوري الإيرلندي.

المنشقون السياسيون في كوبا

في إبريل من عام ١٩٧٢م قام المنشق السياسى والشاعر السجون (بيدرو لويس بوايتيل) بإعلان إضرابه عن الطعام، حيث عاش ما يقارب ٥٣ يومًا على السوائل فقط، ما أدى إلى وفاته بسبب الجوع في ٢٥ مايو ١٩٧٢م.

(غوليرمو فاريناسل)، قد استمر في حالة إضراب عن الطعام ما يقارب سبعة أشهر للتظاهر ضد الرقابة الشديدة على الإنترنت في كوبا. وفي خريف ٢٠٠٦م توقف عن إضرابه الذي نتج عنه كثير من المشكلات الصحية، لكنه ما زال في وعيه. وقد تسلم (فاريناس) في العام نفسه جائزة الحرية الإلكترونية المقدمة من منظمة مراسلون بلا حدود.

السجناء السياسيون في تركيا

خلال ١٩٨٠م وبعد الانقلابات العسكرية، ازدادت عمليات قمع الحركات الاشتراكية، وتم سجن كثير من النشطاء السياسيين والقوميين في ظروف قاسية وغير إنسانية أبدًا. وردًّا على ذلك، سجل عام ١٩٨٤م أول إضراب عن الطعام في تاريخ تركيا، احتجاجًا على أساليب التعذيب والمعاملة الوحشية التي يتلقاها السجناء السياسيين. وقد أودى هذا الإضراب بحياة أربعة من اليساريين الثوريين: (عبدالله ميرال)، و(حيدر بسباق)، و (فاتح أوكتولوس)، و(حسن تيلسي). الجدير بالذكر أن السجناء السياسيين في تركيا قد تبنوا تقليدًا معينًا للإضراب عن الطعام يستعمل حتى الآن، ويذكر أنهم استوحوه من الجمهوريين الإيرلنديين.

وعام ١٩٩٦م أصدر الوزير القومي للحكومة الإسلامية المحافظة سياسة عزل السجناء السياسيين عن بعضهم؛ لإحباط محاولات الإضراب عن الطعام، ومن أحدث موجات الإضراب في تركيا، التي أصبحت متكررة في الأعوام الأخيرة،

الإضراب ضد نوع من السجون يعرف بالنوع (F) الذي تم تصميمه خصيصًا لعزل السجناء السياسيين بشكل فعال. وقد تم العمل على هذا المشروع في ١٩٩٧م، وبدأ الإضراب في ٢٠ من أكتوبر ٢٠٠٠م للطلب بعدم افتتاح تلك السجون.

وفي ١٩ ديسمبر ٢٠٠٠م قرر التحالف الديمقراطي اليساري المتطرف استخدام القوة لإيقاف عمليات الإضراب عن الطعام، وقد سميت عملية (العودة إلى الحياة). واجهت هذه العملية مقاومة عنيفة منظمة من قبل السجناء، ونتج عنها وفاة ٢٨ سجينًا وجنديين. ومنذ ذلك الحين، أصبح نزلاء السجون (f) وحالات الإضراب عن الطعام من موضوعات الحياة اليومية. ووفقًا لمنظمة أقارب السجناء، توفي ما يقارب ١٠١ من السجناء، وعانى أكثر من ٤٠٠ شخص كثيرًا من الأمراض المزمنة وخاصة متلازمة (رنيكى كورساكوف).

حالات حديثة (بين سنة ٢٠٠٠- ٢٠١٦م)

أكبر غانجي

أكبر غانجي «صحفي إيراني مسجون في سجن إيفين منذ ٢٢ إبريل من العام ٢٠٠٠م. خاض غانجي إضرابه في المدة بين ١٩ مايو ٢٠٠٥م حتى مطلع أغسطس من العام نفسه، كتب (غانجي) في أثناء إضرابه عن الطعام رسالتين إلى أحرار العالم. وفي ١٢ يوليو ٢٠٠٥م صرح الناطق باسم البيت الأبيض سكوت ماكليلان أن الرئيس الأمريكي (جورج بوش) دعا إيران إلى إطلاق سراح غانجي «فورًا ومن دون شروط». وجاء في البيان: «إن السيد غانجي مع الأسف ضحية واحدة فقط ضمن موجة من القمع وانتهاكات حقوق الإنسان التي يمارسها النظام الإيراني»، «تستحق نداءاته للسلام أن تُصغي لها الآذان، ويجب ألا تذهب جهوده الشجاعة أدراج الرياح. إن الرئيس يدعو جميع أنصار حقوق الإنسان والحرية، ويدعو الأمم المتحدة لتبني

قضية غانجي ووضع حقوق الإنسان بشكل عام في إيران»، (السيد غانجي) أرجو أن تعلم أن أمريكا تقف معك، وتدعمك وأنت تتصدى لحقك في الحصول على حريتك».

سوامي نيجاماناند

بدأ العراف (نسوا مي نيجاماناند) صيامه حتى الموت في ١٩ فبراير ٢٠١١م؛ احتجاجًا على عمليات التعدين غير الشرعية على ضفة نهر الغانج في مدينة (هاريدوار). وقد أعلنت وفاته في ١٣ يونيو من العام نفسه بعد أن مضى على إضرابه ١١٥ يومًا.

آنا هازاري

شارك (آنا هازاري) في حملة احتجاجية للإضراب عن الطعام مدتها ١٢ يومًا في (راموليلا ميدان) بـ (دلهي)، ضد الفساد السياسي وللضغط على الحكومة الهندية لتمرير مشروع قانون جان لوكبال. عبر نواب البرلمان الهندي عن دعمهم للتغييرات المقترحة على تشريعات مكافحة الفساد في ٢٧ أغسطس ٢٠١١م. وفي أعقاب ذلك، أنهى (آنا هازاري) إضرابه عن الطعام.

سامر العيساوي

سامر العيساوي أسير فلسطيني، وصاحب أطول إضراب عن الطعام بعد محمد سلطان في التاريخ.

قامت القوات الإسرائيلية باعتقاله ضمن عملية الدرع الواقي. وفي أكتوبر ٢٠١٠م، تم إطلاق سراحه ضمن صفقة تبادل الأسرى المعروفة بين على عدم الانخراط في أي نشاط عسكري داخل السجون، وذلك يشمل التجنيد. وقد صرحت (حنان عشراوي) من المجلس الوطني الفلسطيني أن المضربين عن الطعام «قد أثبتوا فعلًا أن المقاومة السلمية أداة أساسية في نضالنا من أجل الحرية.

الإضراب الإيرلندي عن الطعام عام ١٩٨١م

عام ١٩٨٠م قام سبعة سجناء من الجيش الجمهوري الإيرلندي بالإضراب عن الطعام في سجن (ميز) احتجاجًا على الحكومة البريطانية لنقضها اعتبارهم أسرى كالسجناء شبه العسكريين في إيرلندا الشمالية.

في هذه المرة بدلًا من قيام كثير من السجناء بالإضراب في الوقت نفسه بدأ الإضراب عن الطعام بالصيام فردًا تلو الآخر لتحقيق أقصى قدر من الدعاية الشعبية حول معرفة مصير كل فرد على حدة. بعد وفاة الرجال وبسبب الاضطراب الشعبي الشديد وافقت الحكومة البريطانية على تنازلات جزئية للسجناء، وبذلك انتهى الإضراب. أعطى الإضراب عن الطعام دعاية ضخمة رفعت، وعززت بشدة الروح المعنوية للجيش الجمهوري الإيرلندي.

إبراهيم اليماني

إبراهيم اليماني، مواطن مصري - طبيب بشري تم تكريمه من وزارة الصحة المصرية ونقابة الأطباء المصرية لدوره في علاج الجرحى والمصابين إبان ثورة الخامس و العشرين من يناير ٢٠١١م في مصر، أضرب إبراهيم اليماني عن الطعام في السجون المصرية مرتين، وكان سبب الإضراب الأساسي اعتقاله وإبقاءه في الحبس.

محمود عيسى

محمود موسى عيسى (أبو البراء) أسير فلسطيني مقدسي في سجون الاحتلال الإسرائيلي محكوم بالسجن ٣ مؤبدات و٤٩ سنة، كان قائدًا ميدانيًّا قساميًّا في القدس قبل اعتقاله.

محمد القيق

محمد القيق، صحفي فلسطيني، ومراسل قناة المجد الفضائية، يخوض إضرابًا عن الطعام في سجون الاحتلال الإسرائيلي منذ ٩٤ يومًا متتاليًا إلى اليوم ١٧-٠٢-٢٠١٦م.

وبعد التعذيب وسوء المعاملة التي تعرض لها القيق، قرر خوض الإضراب المفتوح عن الطعام.

أنهت ناشطة حقوق الإنسان الهندية إيروم شارميلا إضرابًا عن الطعام استمر ١٦ عامًا يوم الثلاثاء احتجاجًا على قانون عسكري تقول: إنه أدى لارتكاب فظائع في ولايتها بشمال شرق الهند، وتعهدت بمواصلة معركتها بدخول معترك السياسة.

وانهمرت دموع شارميلا وهي تكسر إضرابها أمام الصحفيين بتقطير العسل في فمها. وقالت: إنها ستواصل المعركة ضد القانون الذي يمنح قوات الأمن سلطات واسعة لتفتيش الممتلكات ودخولها وإطلاق النار من دون تحذير في مناطق من ولاية مانيبور النائية.

وقالت خلال مؤتمر صحفي وهي تدعو رئيس الوزراء ناريندرا مودي لإلغاء القانون: «لن أنسى قط هذه اللحظة... من دون هذا القانون القاسي يمكنكم أن تتواصلوا معنا.. أن تحكمونا بحب أبوي ومن دون تمييز».

وأمضت شارميلا المعروفة باسم المرأة الحديدية في مانيبور الأعوام الستة عشر الأخيرة من عمرها وهي في المستشفى، وتتلقى التغذية بشكل قسري تحت إشراف قضائي، ومحاولة الانتحار جريمة في الهند.

وخارج محكمة في إيمبهال عاصمة مانيبور قالت شارميلا في وقت سابق: إنها تريد أن تعيش (كإنسان طبيعي) وتعهدت بالمشاركة في انتخابات الولاية المقررة العام المقبل.

وبدأت شارميلا إضرابها عام ٢٠٠٠م بعد أن قتلت قوات الأمن عشرة أشخاص قرب منزلها بعد هجوم لمتمردين على قافلة عسكرية.

عندما يقوم شخص مشهور، مثل رئيسة الوزراء الأوكرانية السابقة يوليا تيموشينكو بإضراب عن الطعام، ينتشر أمره في جميع أنحاء العالم، ولكن إيروم شارميلا تشانو، امرأة عادية من الهند، مضربة عن الطعام منذ الـ ١٦ سنة الماضية من أجل قضية سياسية، ولا يكاد أحد يعلم بوجودها.

وانضمت شارميلا وهي شاعرة وناشطة، إلى حركة (AfSPA) المناهضة قبل أسبوعين فقط من إعلان إضرابها عن الطعام، وتطوعت في ورش عمل ومناقشات من تنظيم منظمات مناهضة، للاستماع إلى قصص العنف على لسان الضحايا، فتأثرت شارميلا بقصة فتاة تعرضت للاغتصاب على أيدي قوات الأمن في قرية (لامدين).

وفي ١ نوفمبر ٢٠٠٠م، قامت مجموعة من التمردين بقصف ثكنة للجيش، ورد الجيش بقتل ١٠ مدنيين في محطة للحافلات في (مالوم)، ولم تتحمل الناشطة الشابة رؤية الدماء التي غطت الشارع في الحادثة التي تعرف حاليًّا في المنطقة باسم (مذبحة مالوم). فذهبت شارميلا لتطلب الإذن من والدتها لتقوم بشيء للدفاع على هذا الشعب المغلوب عليه، وفي الرابع من شهر نوفمبر، رجعت إلى موقع (حمام الدم)، وأعلنت عزمها على الصيام حتى الموت أو إلى حين سحب قوات الأمن المسلحة.

وبعد ثلاثة أيام فقط من إضرابها عن الطعام، ألقت الشرطة القبض على شارميلا بتهمة محاولة الانتحار، وهو أمر يعاقب عليه قانون العقوبات الهندي. وبدأت إدارة السجن بتغذيتها قسريًّا عبر أنابيب الأنف وحبسها في مستشفى (جواهر لال نهرو) في (إمفال).

ولم تتناول السيدة الحديدية لمانيبور شيئًا ولو حتى قطرة ماء منذ بدأت إضرابها عن الطعام قبل ١٦ عامًا، ولم تمشط شعرها، ولم تنظر إلى نفسها في

المرآة، وتقوم فقط بتنظيف أسنانها بقطعة من القطن الجاف. وعملت السلطات على تغذيتها قسرًا عبر أنابيب الأنف أكثر من عقد، ولكنها تحاول إزالة الأنابيب كلما سنحت لها الفرصة. ومن المعروف أن هذا النوع من النظام الغذائي عبر الأنف خاصة إذا كان مدة طويلة، يؤثر سلبًا في صحة الجسم، إذ ذكر الأطباء في تقرير لـ (البي بي سي) عام ٢٠٠٦م أن الصيام الطويل أثر في جسد شارميلا، وأصبحت عظامها هشة إلى جانب تعرضها لمشكلات صحية أخرى.

الإضراب عن الطعام في السجون: موقف اللجنة الدولية للصليب الأحمر

يتمثل دور اللجنة الدولية، بصفتها منظمة إنسانية، في السعي لضمان تلقي المحتجزين العلاج اللازم والحصول على ظروف احتجاز إنسانية تتفق والمعايير الدولية، إضافة إلى احترام الضمانات والحماية المكفولة لهم.

ما الذي يمكن أن تفعله اللجنة الدولية عندما يضرب محتجزون عن الطعام؟

عندما تزور اللجنة الدولية مكان احتجاز يجري فيه إضراب عن الطعام، تقوم بتقييم الوضع بعناية لفهم خطورة القضية أو القضايا من خلال عقد لقاءات خاصة مع المحتجزين وإجراء مناقشات مع مديري السجون وموظفي الحراسة والعاملين في مجال الصحة المعنيين، إلا أن اللجنة الدولية لا تنظر في أساس الإضراب أو مدى شرعيته بوصفه وسيلة للتعبير عن الاحتجاج، ولا تقوم بدور الوساطة بين السلطات والمضربين.

في الوقت الذي تحث فيه اللجنة الدولية كلًّا من سلطة الاحتجاز والمضربين عن الطعام من أجل التوصل لحل لقضاياهم دون خسائر في الأرواح، وتسعى جاهدة لضمان تلقي المضربين عن الطعام ما يناسبهم من رعاية وعلاج واحترام كرامتهم وآدميتهم وخياراتهم الحرة في مواصلة الإضراب عن الطعام أو التخلي عنه على سبيل المثال.

ما الدور الذي يقوم به طبيب اللجنة الدولية عند زيارة المحتجزين المضربين عن الطعام؟

يضطلع أطباء اللجنة الدولية بدور محدد وحاسم يتمثل في تقييم الحالة الصحية للمضربين عن الطعام والتأكد من رفضهم للطعام طوعًا ومعرفتهم الكاملة بالعواقب التي قد تترتب على الإمسالك عن الطعام على صحتهم وحياتهم. ويتعين على طبيب اللجنة الدولية أيضًا محاولة التأكد من أن المضربين عن الطعام لا يعانون مرضًا عقليًّا؛ لأنه إذا كانت هذه هي الحال، قد يثير ذلك الريبة والشك في قدرة المضربين على اتخاذ اختيار طوعي ومستنير تمامًا بالعزوف عن الطعام. وإضافة إلى ذلك، يجب على طبيب اللجنة الدولية رصد الحالة الصحية للمحتجزين المعنيين والرعاية التي يتلقونها.

ويسعى طبيب اللجنة الدولية من خلال حواره مع العاملين في مجال الصحة الذين يشرفون على المضربين عن الطعام، إلى ضمان أن الرعاية الطبية المقدمة تتفق والمعايير الفنية والأخلاقية المعمول بها، خاصة فيما يتعلق بالأمور الصحية الحرجة المعروف أنها تنتج عن الامتناع عن الطعام مددًا طويلة أو في حال اختيار أحد المضربين عن الطعام وقف هذا الإضراب وتناول الطعام من جديد بعد مدة انقطاع طويلة. ويسعى طبيب اللجنة الدولية على وجه الخصوص، إلى التأكيد من عدم تعرض المحتجزين لـ (الإطعام القسري) من جانب العاملين الصحيين، إذ يشكل ذلك انتهاكًا جسيمًا لآداب مهنة الطب.

ما موقف اللجنة الدولية من إطعام المحتجزين قسريًّا؟

تعارض اللجنة الدولية الإطعام القسري أو العلاج القسري؛ فمن الضروري احترام خيارات المحتجزين والحفاظ على كرامتهم الإنسانية. ويتفق موقف اللجنة الدولية من هذه المسألة بشكل وثيق مع موقف الجمعية الطبية العالمية والمعلن عنه في إعلاني مالطا وطوكيو المنقحين في سنة ٢٠٠٦م.

وينص الإعلان الأخير على أنه: «لا ينبغي اللجوء إلى التغذية الصناعية في حال قيام سجين برفض الطعام في الوقت الذي يرى فيه الطبيب أنه قادر على اتخاذ حكم عقلاني سليم فيما يخص العواقب المترتبة على رفضه للطعام طوعًا. ينبغي أن يعزز على الأقل طبيب مستقل آخر القرار الخاص بقدرة السجين على إصدار مثل هذا الحكم، ويشرح الطبيب للسجين النتائج المترتبة على امتناعه عن الطعام».

الصيام الإسلامي والتجويع[1]

عرف علماء التغذية الصيام بأنه الامتناع الكلي أو الجزئي عن تناول المأكولات والمشروبات معًا، أو عن تناول المأكولات فقط مدة من الزمن طالت أم قصرت. وقد دخل التجويع (Starvation) في هذا المفهوم للصيام، ويلاحظ أن هذا المفهوم يختلف اختلافًا جوهريًّا عن تعريف الصيام الإسلامي، الذي هو إمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع عقد النية، ولا تذكر المراجع الطبية غالبًا الصيام إلا تحت عنوان التجويع (Star vation)، وقد حصل لذلك خلط ولبس بين الصيام الإسلامي والتجويع، ما جعل الكثيرين من متلقي العلوم الحديثة وخصوصًا الأطباء لا يفرقون بينهما، ويسقطون أخطار التجويع على الصيام الإسلامي؛ لأن المدرسة الطبية الغربية التي تتلمذ فيها الجميع، لا تشير من قريب أو بعيد إلى الصيام الإسلامي، وتكتفي بالتعميم، هذا وقد أصبح للتجويع مدرسة طبية، وأقيمت له مصحات عالمية في كثير من بلدان العالم، يعالجون به عددًا من الأمراض المزمنة، وقد سموه الصيام الكلي أو الطبي[2].

---

(١) مرجع الصيام معجزة علمية د. عبدالجواد الصاوي.

(٢) الصيام الطبي هو الامتناع فيه عن الطعام فقط دون الماء، مدة من الزمن قد تطول أو تقصر، وتقوم فكرته على حقيقة مقدرة الطاقة المتخزنة في الجسم على إمداد الإنسان بالحياة والحركة مدة تتراوح من شهر إلى ٣ شهور.

موقف الإسلام من الإضراب عن الطعام

من يعرف حقيقة تشريع الصيام والحكمة منه لا يصف صيام المسلمين بالإضراب أو التجويع، فهو دين الرحمة المهداة، وتهذيب للنفس وروحانية العبد مع ربه وإشعاره بحياة الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم. هذا فضلًا على إعفاء ذوي الأعذار من الصيام، أما الإضراب الذي مقاصده تتمحور حول مقاصد دنيوية بحتة والصيام الطبي الذي وجد لأجل حمية الجسد أو لأجل تخفيف الوزن، فإن الإسلام منه براء، فلقد نهى الإنسان عن تعذيب النفس وعن صيام الوصال وصوم الدهر وحرَّمه.

وإن الاكتفاء بالسوائل فقط لا بد أن يكون له بالغ الأثر على المدى البعيد، ولكن فجأة توقفت جين عن خسارة الوزن في الشهر الخامس، وقد أزعجها ذلك كثيرًا، ولكن الكتاب كان خير مرشد لها في هذه المرحلة، فقد كانت جين تلتزم بالصيام يومين من كل أسبوع، وتأكل ما تريد وبأي كمية بقية الأسبوع.

وهنا بدأت جين مرحلة جديدة من الحمية، وأصبحت تطبخ من وصفات الكتاب، وتتبع نصائح الطبيبين بدقة.

تقول جين: إنها في الشهور المقبلة عاشت بعض المشكلات العائلية بسبب اضطرارها إلى بيع المنزل، فتوقفت عن الحمية بسبب كثرة التوتر، وعادت لعادات الأكل القديمة، لكن زوجها نصحها أن تلتزم على الأقل بصيام يوم واحد كل أسبوع كي لا تفقد الاعتياد على مثل هذا الصيام الذي تعبت كثيرًا لتعتاد عليه، ويصبح جزءًا من نظام حياتها.

تقول جين: إن الجميل في هذا الرجيم أنه ساعدها للوصول إلى قياس ١٢ لكنها لم تكسب المزيد من الوزن حتى، وقد أخلت به، وذلك لأنه يعتمد على الصبر والوقت. وها هي تعود الآن للالتزام بقواعد الكتاب ووصفاته على أمل الوصول لقياس ١٠ وهو بالنسبة إلى امرأة في عمر جين منتهى الرشاقة والجمال.

احذروا البطنة، فإن أكثر العلل إنما تتولد من فضول الطعام.

ابن سينا